كتاب البستان لابن مريم و عمل تحقيقه لمحمد بن أبي شنب

إعداد : د بشير كُحيل
(ج. عنابة)

تقديم

تتوزع عناية العلامة محمد بن أبي شنب [1869/1929م]بين عدة مجالات يمكن أن **تؤسس لمشروع الخصوصية الثقافية** بكل توجهاته وأبعاده الآنية والمستقبلية . إنه مشروع تتداخل فيه الترجمة بعلم اللغة المقارن، والأدب المقارن ،كما يتداخل فيه الأدب الشعبي مع الأدب الفصيح . وفيه إعادة قراءة للتراث، باستحضاره وتوثيق نصوصه

فأما **العناية بالترجمة** فمردها إلى ما امتلكه من موهبة فذة في تعلمه لكثير من اللغات التي أكسبته تفوقا على أقرانه، وهي موهبة صقلتها خبرته بالنصوص، وترجمتها ترجمة تقوم على التعايش معها، وحسبه في هذا أنه لم يتلق دروسا في علم كان يعرف آنذاك بعلم الترجمة .

وأما جانب **المقارنة بنوعيه اللغوي والأدبي** فمرد ريادته فيه -في تقديرنا ، إلى ما كان يحيط بالناس آنذاك من إحساس بالقهر، نتيجة الأوضاع المزرية التي كانت تدفع بالأهالي إلى إثبات الوجود بقوة القلم حتى يثبتوا لأقرانهم من أبناء المستعمر أنهم متساوون في الفكر كما هم متساوون في الجانب الإنساني .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأما أهم جانب تظهر فيه المساواة فهو هذا المجال الواسع من الإبداع الأدبي، وهذه الخصائص اللسانية المشتركة حينا أو المتباينة أحيانا أخرى، والتي نقف عليها من خلال البحث في أوج التشابه والاختلاف .

وأما العناية بالتراث العربي، ومنه تراث الجزائر- تحقيق كتاب ابن مريم- البستان في أولياء وعلماء تلمسان أنموذجا- فيبدو فيه الارتباط القوي بالوطن ، خاصة هذا التعلق بمحتوى الكتاب الذي يتراوح بين الثقافة الدينية التقليدية، والثقافة التي كان يحيط بها الناس رجل العلم الذي يتساوى مرتبة وإجلالا والرجل المتعبد .

- و إذا كان العلامة بن أبي شنب قد قام بتحقيق كتاب البستان، فإلى أي **حد نعتبره محققا، بالمفهوم الصحيح للتحقيق** ؟

لقد اقتضى منا ذلك العودة لمنهج التحقيق لمعرفة المراحل التي يترسمها المحقق حتى يستوفي عمله جميع الخطوات، ثم خلصنا في الختام إلى نتيجة فاصلة في هذا الأمر –

لقد تطلب منا ذلك اعتبار العودة للتراث، والتعامل معه على ضوء ما يؤرقنا من مشكلات الراهن، مع العناية في نفس الوقت- بمنهج التحقيق، اعتبرنا ذلك كله نوعا من **الوعي بالخصوصية الثقافية** ،

إننا إذ نقدم هذا العمل المتواضع نرجو أن يكون بمثابة الحافز لبقية الباحثين لكي يضيفوا إليه ما حقه أن يضاف، وأن يصوبوا فيه ما يرونه مستلزما للتصويب.

والله من وراء القصد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا : مضمون الكتاب

يعد كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف المليتي التلمساني من الكتب النفائس التي عكف العلامة محمد بن أبي شنب[1] على تحقيقها ونشرها، إذ تكمن أهميته في جانبين هامين هما :

- **الجانب التاريخي**: المتمثل في صلة مضمونه بأهم الأحداث التي مرت بها تلمسان إبان القرنين الثامن والتاسع الهجري، خاصة وأنها كانت تعد أهم الحواضر المغربية على الإطلاق، وقد خاضت في هذه الفترة حربا دامية ضد وباء الطاعون الذي أودى بحياة كثير من العلماء، كما تعرضت لحصار دام سبع سنين ذاقت فيه ويلات المجاعة والفقر والمهانة.

- **الجانب الثقافي**: الذي يتعلق بألوان المعارف وتنوعها، والمظهر الإيديولوجي [2]الذي يشكل البنى الفوقية لمجتمع يطغى فيه **الفكر الصوفي**، المرتبط بفكرة الولاية والكرامات، وهو فكر لا يكتفي بمجرد الإيمان، بل يتعداه إلى الممارسة الفعلية بإجهاد النفس، والتبرم بالآخر، وإيثار الخلوة على

1– قال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في التعريف به:" هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، ولد يوم الثلاثاء سنة 1286 هـ الموافق لست وعشرين من شهر أكتوبر سنة 1869 م بفحص خارج مدينة المدية، وتعرف هذه الضاحية عندهم باسم (تاكبوا) أو –عين الذهب . " ينظر محمد بن أبي شنب حياته وآثاره ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ،ص 13– وكانت وفاته –كما أثبت الشيخ وأجمعت عليه مؤلفات سيرته الذاتية– سنة1347 هـ 1929 م . حيث دفن بمقبرة عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر .

2 – يقول محمد سبيلا –خلال استنباطه لمفهوم الإيديولوجيا والحداثة– :" إذا تأملنا الكتابات المتعلقة بهذه الظاهرة نجد أن لفظ الإيديولوجيا يطلق إطلاقا واسعا على كل الظواهر العقدية قديما وحديثا إذ يتحدث الكثيرون عن الصراع الإيديولوجي في الإسلام والمسيحية وعن الصراع الإيديولوجي في الثقافة والحضارة الإغريقية دونما تساؤل أو حذر "– ينظر الإيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، المركز الثقافي العربي ،ط1، بيروت، لبنان ص33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشاركة، والتحلي بالصبر، والسعي لاكتساب المعرفة الأخروية، والاقتداء بمآثر السيد النبي (ص) والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، وقد كان ذلك يكلفهم الرحلة في طلبه مشرقا ومغربا .

والكتاب يعد وثيقة هامة من الوثائق التي يمكن استثمارها في الوقت الراهن في مواجهة الغزو الفكري ، والدفاع عن الخصوصية الثقافية التي أصبحت في مهب ريح عاتية تعصف بكل المقومات الفكرية، وتمس كل مظاهر الحياة، الشيء الذي ينذر بالذوبان في بوتقة الثقافة المعاصرة - **ثقافة الحداثة وما بعد الحداثة** ([1]) - وما يحمله هذا المشروع من سلب لخصوصية الفرد والجماعة .ومن اختراق للبنى الفكرية المؤسسة للثقافة الإقليمية

إننا على يقين من أن الاعتداد بمضمون الكتاب في مواجهة الحداثة أو ما بعد الحداثة أمر سائغ لأكثر من سبب على رأسه ما يراه محمد عابد الجابري من أن الحداثة" في نظرنا لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه ب "المعاصرة " أعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي " [(2)] .

[1]- يوضح بعض الباحثين الفرق بين مصطلحي الحداثة وما بعد الحداثة خلال تحديده للمصطلح الأول بقوله :" **الحداثة** حركة انفصال ،إنها تقطع مع التراث والماضي ولكن لا لنبذه وإنما لاحتوائه وتلوينه وإدماجه في مخاضها المتجدد . ومن ثمة فهي اتصال وانفصال، استمرار وقطيعة، استمرار تحويلي لمعطيات الماضي وقطيعة استدماجية له . هذا الانفصال والاتصال تمارسه الحداثة حتى على نفسها، فما يسمى **ما بعد الحداثة** لا يمثل مرحلة تقع خارج الحداثة وبعدها إنه أقرب ما يكون إلى مراجعة الحداثة لنفسها لنقد بعض أسسها وتلوينها، فإذا ما غلب على دينامية الحداثة منطق الفصل والقطيعة فإن ذلك وسم المراحل الظافرة للحداثة في ذروتها لتعود إلى توسيع وتليين آليتها ابتداء من منتصف القرن العشرين " ينظر محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الحداثة–دفاتر فلسفية، نصوص مختارة (6)، ط3، دار توبقال، المغرب، 2008، التقديم .

[2] - التراث والحداثة دراسات ومناقشات (مركز دراسات الوحدة العربية) بيروت، لبنان، 2006، ص، 16/15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى ذلك اعتقاد الإنسان في قدراته، ونجاعة سلاحه الذي ينوي أن يدخل به المعركة، معركة أشبه بمعارك العتق، وفك القيود، باعتبارها تمس وجوده وكيانه .

نقول ذلك معتقدين في النهاية أن مواكبة التقدم يجب أن نعد لها العدة الكافية، باستثمار الطاقات الفكرية، وإضفاء روح التجدد على الثقافة الإقليمية .

يصنف كتاب البستان ضمن كتب التراجم والأعلام التي يقدم المؤلفون على تأليفها وفاء لشخص من الأشخاص عادة ما تربطه بالمؤلف علاقة من العلاقات التي يقيمها الناس بين بعضهم البعض .

ويظهر أن ابن مريم ألف كتابه استجابة لطلب شخص كان أشار عليه بتأليف كتاب يجمع أولياء وعلماء تلمسان، قال في المقدمة :" أما بعد السلام عليكم أيها الأخ الأحب في ذات الله تعالى ورحمة الله تعالى وبركاته فقد طالعت ما أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات وجمع من كان بها وحوزها وعمالتها فأسعفتكم فيما طلبتم نسأله سبحانه وتعالى أن يكمله لكم وأن ينفعكم به خصوصا وينفع به المسلمين عموما دنيا وأخرى[1].

فللكتاب بهذا صلة بالجانبين الديني والعلمي، وهما بعدان روحيان لهما منزلتهما الخاصة في نفوس أهل المغرب منذ القديم وإلى يومنا هذا [2] .ويظهر أن

[1] - أبو عبد الله محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق الشيخ محمد بن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1986، مقدمة المؤلف ،ص5 .

[2] - من ذلك إطلاق اسم الجامع وهو المكان الذي يتجمع فيه الناس لأداء فريضة الصلاة على المدرسة ،وهي المكان الذي يقوم على تعليم وتربية الناشئة . في منطقة عنابة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤلف أعرض عن ذكر اسم هذا الأخ لغاية ربما تعود إلى خمول الذكر، أو عدم الانتساب إلى العلم، أو تلبية لطلب هذا الأخ .

قام المحقق بوضع فهارس للكتاب بدأها بتراجم الأولياء والعلماء متبعا فيها الترتيب الألفبائي للحروف، مبقيا –على الأرجح – عدد أولئك العلماء كما أحصاها المؤلف **وهو مائة وخمسة وستين عالما /165،** على الرغم من أنه-أي المؤلف - كان قد وجه النظر إلى أن عدد هؤلاء العلماء لا يحصيهم تعداد ، ولا يحيط بهم ذكر، وهو ما يفهم من قوله: " وحشرنا في زمرة هؤلاء السادات الأخيار أهل تلمسان وفقهائها لا يقدر أحد على إحصاء عددهم لكثرتهم نفعنا الله بهم، ولو رمنا استيفاء ذكرهم لضاقت الدفاتر عما انتهى إلينا خبرهم رضي الله عنهم أجمعين "[1] . إن كثرة العلماء يمكن اعتبارها -وفق تقدير ما -ظاهرة اجتماعية دالة على إنتاج المعرفة لا تقف عند حد الاستهلاك، بل تتعداه إلى الإبداع، وصياغة الأفكار على نحو متميز نستدل عليه من أصناف المعارف المختلفة المشار إليها في الكتاب .

من مثل: الأصول والمنطق والمعاني والبيان والعربية، والحساب، والعروض والقراءات السبع والتصوف، والشعر، والنحو، وشرح قصائد المدح النبوي [2]. والفقه، والحديث[3] .وعلم الكلام[4]

---

[1] - ينظر البستان، ص307 .

[2] – ينظر البستان ،ص 8 وما بعدها " بتصرف " .

[3] – المصدر السابق، ص286 .

[4] – المصدر السابق ،ص77. قال المؤلف في ترجمة محمد بن أبي مدين التلمساني :" محيي ما درس من علوم الشريعة علم الأعلام الحائز قصب السبق في المنقول والمعقول خصوصا علم الكلام، إذ لولاه لتلاشى علم الكلام بل علم المعقول بأسره بمغربنا ..." ينظر، البستان،ص 259 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و إذا كان الكتاب يحظى بهذه الأهمية فإ ن المؤلف توخى الثقة فيمن يأخذ عنه الرواية، كقوله في بعض المواضع :"وسمعت ممن أثق به أنه صام [يقصد الحسن بن مخلوف بن مسعود الشهير بأبركان]شهر رمضان لا يأكل في كل ليلة إلا أنجاصة واحدة "[1] نهجا على ما كان يأخذ به المتصوفة أنفسهم من تعذيب النفس، ومجاهدتها وكبح شهواتها اقتداء بما روي عن النبي (ص) .

وهو يقول في موضع آخر أنه اعتمد على **الفضلاء من العلماء** :" وحدثني جماعة من الفضلاء أنه كان [يقصد إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني] في ملازمته للجبل إذا وجد به نوار الربيع أمعن النظر في أنواعه وألوانه و إحكام صنعته فيغلبه الوجد والحال ويتواجد ويتبختر في كسائه ... "[2] والحقيقة أن المؤلف كان مدركا لطبيعة العلاقة التي من يفترض أن تنشأ بينه وبين المنتج الثاني للنص –أعني القارئ– فليس " المؤلف مجرد شخص .

إنه شخص يكتب وينشر ولأنه متواجد خارج –النص وفي النص، فإنه يعتبر صلة بين الاثنين ويتحدد باعتباره شخصا واقعيا مسئولا اجتماعيا، ومنتجا لخطاب في نفس الوقت ،وبالنسبة للقارئ الذي لا يعرف الشخص الواقعي و إن كان يؤمن بوجوده، يتحدد المؤلف باعتباره الشخص القادر على إنتاج ذلك الخطاب، ويتصوره انطلاقا مما ينتجه "[3] .

---

[1] – البستان ،ص 88 . قال القشيري :" ولهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع وكثرت الحكايات عنهم في ذلك " . ينظر الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د. ت .

[2] - ينظر البستان ،ص66 .

[3] - ينظر، فيليب لوغون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ،ترجمة عمر حلي ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 1994 ،ص 24 ،25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتدليلا على صحة ذلك الإدراك الواعي إحساس المؤلف برد فعل قارئه، بتوجيه نظره إلى عدم الريبة في صحة ما يرويه أو ما ينتجه . إن الثقة عامل مهم من شأنه أن يجعل القارئ يقبل على قراءة الكتاب دون أن يرتاب في المعلومات أو يساوره الشك في الأخبار المروية .

ولم يهمل المؤلف ما كان متداولا من ألفاظ أهل تلمسان، إذ يورد ما كان يجرى به التداول اليومي في الوسط الاجتماعي ، من مثل قوله في العالم المشهور بأبركان :"وكان يحافظ أشد المحافظة على ما خلفته الأم من بعض لباسها، بل وعلى **الهيدورة** التي كانت تجلس عليها .. . "[1] علما أن الهيدورة تعني الجلود التي تتخذ للقعود، أو لأداء فريضة الصلاة . ولا يعلم بالتحديد من أية لغة انتقلت إلى لهجة أهل تلمسان . مثل **لفظ السباط** فيما يرويه عن الحسن بن مخلوف بن مسعود، الشهير بأبركان قال :" كان يتوضأ في صحراء يوما فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على **سباطه** فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد ... "[2] .ولفظ السباط من الألفاظ التي مازالت متداولة في أوساط المغاربة إلى هذا اليوم، على الرغم مما أخذه لفظ الحذاء من الذيوع وكثرة الاستعمال .

ولفظ لالة هو الآخر من الألفاظ المتداولة إلى يومنا هذا ،نرجح أنه من ألفاظ الأمازيغية ذات الاستعمال الواسع .وهو يورد لفظ " **لالة** " فيما يرويه عن محمد بن أحمد **الشريف المليتي** ،قال :" فقلت له يا والدي الله يرحم **لالة مريم** ترضى عني وتحلل لي ما خدمت علي وما أقرأتني "[3] . ومن ألفاظ أهل تلمسان- التي لاتزال على قيد الحياة- لفظ " **الكسكسو** " وردت ضمن ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر التلمساني الشهير بالمقري، قال :" فرأيت

[1] - ينظر البستان ،ص 85 .
[2] - ينظر البستان ،ص74 .
[3] - ينظر، البستان ،ص268 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي صلى الله عليه وسلم في المنام . فقال لي : **أطعمه الكسكسون** . فقال يقوله **هكذا بالنون** فصنعته له فكأنما جعلت له فيه الشفاء، فكان أبو القاسم يقوله بالنون ويخالف الناس في حذفه من هذا الاسم، ويقول لاأعدل عن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم"[1] .

ونرجح أن محقق كتاب البستان قد أوحت له مثل هذه الألفاظ ووضعها بالتأليف في **الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر، وتأليف كتاب في بعض أمثال منظومة عامية، وترجمتها إلى الفرنسية طبعت بباريس سنة 1928م، والأمثال العامية السائرة بالمغرب العربي بالأقطار الثلاثة : الجزائر وتونس والمغرب وشرحها بالفرنسية في ثلاثة أجزاء وطبع في باريس سنة 1907.** [2]وهو انشغال يقع ضمن عنايته بالمقارنة بين العربية وغيرها من اللغات، يشكل مركز اهتمامه الذي تولد عنه مشروعه الضخم الذي أراد به أن **يخرج الأدب العربي من موقع المحلية الضيقة إلى أفق العالمية الرحب، والذي يتأسس على الترجمة والمقارنة وتحقيق التراث ونشره على نطاق واسع وحضور المؤتمرات العلمية للمستشرقين.**

وفي البستان إشارة للعملة المتداولة بقسنطينة آنذاك، **وهي الدرهم**، فقد جاء ضمن ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي " أنه اشتد الغلاء في محلة أبي عنان بقسنطينة حتى بلغ **الفول ثمانية بدرهم** فعظم الحال "[3] إن ربط العملة بما كانت تمر به بلاد المغرب يشكل وثيقة هامة تعين على استحضار الذاكرة المطموسة استحضارا أمينا لا جناية فيه على البلاد أو على أهلها .

---

[1] - البستان ،ص 158 ،159 .

[2] - ينظر، عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره ،ص35،36.

[3] - البستان ،ص177.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه استحضار لحقبة زمنية تدل على انكماش الحياة ببلاد المغرب، وتدني مستوى المعيشة، مما ينذر برقة أحوال الناس، وضنك عيشهم .

وبكتاب البستان إشارة إلى بعض الطرق المتوخاة في التعليم، وهي الطريقة القائمة على **تكرار المسألة عدة مرات** بغية ترسيخها في ذهن المتعلم، وهي طريقة سقيمة على ما يبدو، وإن تكن لها بعض الفوائد، باعتبارها ترهق الذاكرة وتكد الذهن . ورد ضمن ترجمة أحمد بن محمد بن زكري ما نصه " وكان رضي الله عنه مشتغلا بالعلم والتدريس **يكرر المسألة الواحدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى يفهمها الخاص والعام** وانتفع به المسلمون كلهم وجميع من يحضر مجلسه **إلا طالبا واحدا** لم يحصل شيئا، لأنه كان يقول كل يوم ابن زكري يعاود المسألة ولم يكن منه شئ ... "[1] . إن التلقين بالتكرار يصنف ضمن الطرق التقليدية التي مازالت تتبع إلى يومنا هذا في دور الكتاتيب، وبعض المدارس التي يغلب عليها التقليد، وإن يكن الحكم على جدواها يقع ضمن النظرة الشمولية، لمجتمع تقليدي هو ا لآخر كما تختزله القراءة السطحية .

وثمة إشارات إلى بعض **الأجناس والديانات** التي كانت بتلمسان احتواها كتاب البستان، **مثل الترك، والعرب، والبربر، والنصارى، واليهود، والمسلمين**[2]، وهي ظاهرة دالة على **تعايش** بين مختلف المعتقدات والأعراق، وإن تكن بعض الإشارات موصولة بصور من المنازعات في نطاق ضيق .

[1] - البستان ،ص41.

[2] - البستان ،ص56 ،57 ،187، وغيرها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو هي موصولة **بحادثة** تاريخية هامة- جاء في ترجمة محمد عبد الجبار بن ميمون بن هارون " وكان شاعرا ماهرا في الشعر وتوفي سنة 950 خمسين وتسعمائة في **عام أخذ النصارى تلمسان** دمرهم الله انتهى "[1].

إن ما يمكن استخلاصه بعد النظرة الفاحصة لمضمون كتاب البستان هو أنه يعد وثيقة هامة تعين المؤرخ والعالم، على السواء في التعرف على مجريات الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية لبلاد المغرب الأوسط، فإذا كان الكتاب ألف في تراجم الأولياء والعلماء، إلا أنه موصول ببعض الأحداث الجسام التي مر بها المجتمع التلمساني، كالإشارة إلى الحصار الذي استمر مدة سبع سنين[2]، وكاستيلاء النصارى على مدينة وهران، وكذكر ببعض العلماء الذين قضوا نحبهم **بداء الطاعون** الذي انتشر إذاك في بلاد المغرب، ومنها تلمسان ،وكألوان الثقافات المختلفة التي كانت سائدة آنذاك فيها، وهي ثقافات لم تكن متولدة عن عبقرية محلية تلمسانية بقدر ما هي امتداد للثقافة العربية الإسلامية[3].

ثانيا- عمل التحقيق :

يعتبر التحقيق منهجا من مناهج إعادة بعث التراث وإحيائه بمقاربة النصوص بالهيئة التي كانت عليها أثناء تدوينها من قبل مؤلفيها . وهي مهمة شاقة إن لم نقل إنها مستحلية، لتعذر إعادة النص إلى ما كان عليه أثناء ولادته،

---

[1] - البستان ،ص 288 .

[2] - البستان ،ص30 .

[3] - نذكر ضمن هذا السياق كيف أن بعض العلماء كان يعنى بقراءة : فصل التصوف من كتاب **الشفاء لابن سينا، وتلخيص كتاب أرسطو لابن رشد.** البستان ص 165 . مما يعني أن هؤلاء العلماء كان لهم بعض الإسهام في الحفاظ على تراث أرسطو، ولا نستبعد أن تكون عنايتهم من ضمن ما مكن لمؤلفات هذا الفيلسوف الذيوع والانتشار داخل بيئة الأندلس، والبلاد الأوربية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن " تحقيق التراث عملية مركبة معقدة، قام بها العلماء على مر العصور، هذه العملية تقتضي إ خراج النص الأدبي[وغير الأدبي] كما صنعه مؤلفه أو في أقرب صورة قاله عليها"[1]

إن هذه الصعوبة [2] متأتية جراء تعرض النصوص إلى الطمس والتخريب الخ...

والتخريب ، والنهب والتصرف، ورسم الخطوط، والأسلوب الذي كتب به المخطوط، وطبيعة العلم الذي يعالجه، و إقدام من لا صلة له بالتحقيق على الزج بنفسه في هذا المسلك الضيق الذي يتطلب أمانة علمية، وطول صبر وأناة، ونكران للذات ومعاناة .

إن منهج التحقيق **له تاريخ مديد** -لكونه لا يختلف عن بقية المعارف أو المناهج اللغوية أو الأدبية - **مر خلاله بمراحل من الصقل والبناء، و التشذيب**

[1] - د، عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، منشورات سمير أبو داوود، المركز العربي للصحافة، أهلا، القاهرة، مصر، 1983 ،ص10 .

[2] - يمكن إجمال تلك الصعوبات –كما يراها عبد السلام هارون– في النقاط التالية :

1- رداءة المخطوط، من حيث نوع الخط الذي كتب به، وهي أمور مرجعها إلى العيوب المتعلقة بوسيلة الكتابة .

2- رداءة المخطوط من حيث التحريف والتصحيف، أو مظاهر الطمس البادية على جسم المخطوط .

3- رداءة المخطوط من حيث تعرضه لعوامل البلى . وهي خاصية تشترك فيها جميع الكائنات الحية وغير الحية .

4- غرابة الموضوع الذي يعالجه المخطوط، مما ينجم عنه استغلاق حل رموزه، والوقوف على مقاصد مؤلفه .

غرابة المخطوط في لغته. ويتأتى ذلك نتيجة تفرد الكتاب بلغة تميزهم عن باقي الكتاب، ولعل أحسن مثال على هذا كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت 648 هـ .إذ كثيرا ما اشتكى المطلعون عليه قديما أو حديثا من صعوبة مرامي مؤلفه . ينظر، تحقيق النصوص ونشرها ،ط5، مكتبة السنة، القاهرة، مصر ،1410 هـ،ص 98 ،99 . "بتصرف "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتهذيب إلى أن استقر على ما هو عليه في آخر مؤلفاته المتداولة بين الدارسين المختصين في الجامعات ومراكز الأبحاث . وهي فكرة يجب ألا تغيب على المهتمين بتطبيق هذا المنهج في المشرق العربي و في مغربه .

فلم تطبق جميع مراحله طفرة واحدة في فترة زمنية معينة، ولم يكن المشارقة هم السباقون – في الأوساط العلمية الأكاديمية على أقل تقدير- لتلقف هذا المنهج من علماء أوربا، وبالتحديد **المستشرقين الذين اتصلوا بالعالم العربي مغربه ومشرقه، وكانت غاياتهم متباينة من و راء تحقيق التراث العربي** ، خاصة وأن بعضهم أرسل ضمن بعثات التبشير و التنصير التي كانت تشرف عليها الكنيسة الأوربية .

إن هذا القناع الذي ارتداه علماء الاستشراق ، كان الغرض منه معرفة بنية العقلية العربية الإسلامية من الداخل، ومن ثم النفاذ إليها لتدمير بنيتها ،و السيطرة علي أصحابها حتى يستبدلوا تلك بالعقيدة النصرانية، ويأخذوا بمقومات الحضارة الأوربية التي قامت على تقديس المادة، وفصل الإنسان عن سياقه الإنساني الذي لا يمكن له أن يحيا بمعزل عنه.إنها حضارة تقوم على القمع كما كان يسميها فيلسوف الشباب " ماكيز " قمع الإنسان وسلبه من خصائصه الإنسانية، وتدمير كيانه الداخلي .

و إنه لمن الإنصاف أن نعترف لبعضهم الآخر بفضلهم على الثقافة العربية الإسلامية التي راحوا يسعون لتحقيق بعض مؤلفاتها، ونفض الغبار عنها، معترفين بما أسدته الحضارة الإسلامية من جليل الخدمات للثقافة الإنسانية بعد أن تمثلت حضارة اليونان وفارس والروم والهند، واختزلتها دون أن تولي ظهرها لتلك الحضارات، فقد لقب الفلاسفة العرب أرسطو " بالمعلم الأول " . والشواهد في هذا المقام أكثر من أن تحصى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان من أجلّ ما قام به المستشرقون عقدهم للمؤتمرات العالمية التي يستدعى إليها العلماء المهتمون بالتحقيق سواء أكانوا من المستشرقين أم لم يكونوا " وتلقى فيها البحوث وتدور المناقشات، وقد كان لهذه المؤتمرات أثر واضح في نهضة التحقيق عند العرب، إذ كان من علماء الشرق الذين حضروا هذه المؤتمرات عبد الله فكري وأحمد زكي وأمين الخولي وعائشة عبد الرحمن وغيرهم ... "[1].

و مثل الجزائر في بعضها العلامة محمد بن أبي شنب [1869-1929م] – وكان فيما تحدثنا به سيرة حياته مخلصا لعلمه، متفانيا في خدمة بلده غير قانع بالقليل اليسير من المعارف ،يدلنا على ذلك كثرة تنقله بين البلدان شرقا وغربا من المغرب الأقصى إلى تونس وسوريا، و إنجلترا وفرنسا .

1- أسس المنهج : تتأسس المعارف مهما كانت طبيعتها على فكرة التجزئ من أجل تيسير نقلها وجعلها مستساغة لدي متقبليها، فلا يمكن أن نتصور نقلا يتم بصورة عشوائية، لا تراعى فيه فكرة المقدار أو المقياس، إنه نوع من النظام والتنظيم يكاد يكون لصيقا بالمعرفة وناموسا تسير على هديه جميع المعارف مهما كانت الغاية منها .

و إذا كان التحقيق منهجا له أصوله النظرية، ومجاله الإجرائي، فإن له مراحل لابد أن يتبعها المحقق، فيكون وفيا لها متحررا من جميع الأهواء، ساعيا

[1] - ينظر د، عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي ،ص196 .يذهب الدكتور عبد المجيد دياب إلى أن أول مؤتمر للمستشرقين " عقد ... بباريس سنة 1873 ثم توالت المؤتمرات وصارت تعقد دوريا كل ثلاث سنوات، وبلغ عدد الدورات ستا وعشرين دورة عقدت كلها في مدن أوربية ما عدا الدورة الثالثة والعشرين التي عقدت في تركيا سنة 1954 والدورة السادسة والعشرين التي عقدت في نيودلهي سنة 1964 وتقرر عقد الدورة التالية في أمريكا " ينظر المرجع السابق ،ص 196 ،197 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى توفير أكبر قدر من الموضوعية لعمله . **إن تلك المراحل** يجملها الباحثون المختصون فيما يلي :

1-تحقيق عنوان الكتاب .

2-تحقيق اسم المؤلف .

3- تحقيق نسبة الكتاب .

4- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه .[1] .

وبديهي أن يقوم المحقق بإعطاء كل مرحلة حقها من التجريد حتى لا تظهر في عمله الثغرات التي لا حجة له في ظهورها مهما تذرع بالحجج .

إننا مضطرون للتذكير بأن منهج التحقيق مر بمراحل عديدة قبل أن يستقر به المقام في كتب المناهج الحالية، وبذلك يمكن تقييم عمل المحققين على ضوء الظروف المحيطة بهم والوسائل المتوفرة لديهم ،وطبيعة الفترة التاريخية التي أنجزوا فيها التحقيق .

فما حظ ابن أبي شنب من التوفيق في تحقيق كتاب ابن مريم البستان ؟ .

2 -**محمد بن أبي شنب محققا:** يمكن عد تحقيق كتاب البستان حلقة من حلقات مشروع ضخم نذر المحقق له نفسه منذ أن بدأ يحتك -فيما نرجح - **بالمستشرقين، وأخذ عنهم قواعد المنهج**، وربما وسع لديه هذا الاهتمام **تمكنه من عدة لغات** ([2]) أعانته على إدراك أسراره وخفاياه، كما ولدت لديه مهمة ترجمة

[1] - عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص42 .

[2] - كان العلامة ابن أبي شنب يتقن تسع لغات هي : العربية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية والعبرانية .ينظر البستان، التقديم ص6 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النصوص، **والقيام بعديد المقارنات بين الآداب العربية وغيرها** من آداب الأمم الأخرى، بشكل قلما توفر لغيره من الباحثين في عصره وكان يبدو أن فكرة **إحياء التراث قد** أخذت قسطا وافرا من انشغاله، بحيث شكلت لديه هاجسا ظل يؤرقه طوال رحلته العلمية الشاقة بين دفات الكتب وفي أروقة المكتبات، وكان طموحه على ما هو محقق من خلال إنتاجه الغزير الوصول **بآداب اللغة العربية إلى مرتبة العالمية**، ولم يكن ذلك يحد من عزيمته في البحث عن الكتب النفائس، لتحقيق هذه الغاية .

فأما أهم الكتب التي قام بتحقيقها ونشرها فهي :

- عنوان الدراية في علماء بجاية، نشره بالجزائر سنة 1910 .
- طبقات علماء إفريقية لأبي ذر الخشني مع ترجمة فرنسية .
- الذخيرة السنية في تاريخ الدول المرينية، نشره بالجزائر .

- كتاب البستان في علماء تلمسان لابن مريم، نشره بالجزائر.

إن ما يمكن ملاحظته على هذه المؤلفات هي أنها من تراث بلاد المغرب، خاصة الجزائر ، وأنها لا تخرج عن كتب تراجم العلماء، وتاريخ الدول .

إننا لا نجافي الحقيقة إذا أطلقنا **صفة المحقق** على العلامة ابن أبي شنب تقديرا لأعماله الجليلة التي قام بها في هذا المجال، وأيضا لسبقه في هذا المضمار لكثير من أعلام التحقيق في المشرق .لكونه من العلماء الأوائل الذين مهدوا هذه الطريق، لبقية الأجيال اللاحقة، وأضاءوا لهم الدروب الوعرة والمسالك الضيقة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- تحقيق كتاب البستان :

أ- مقدمة التحقيق: قام ابن أبي شنب بتحقيق كتاب البستان ونشره سنة 1908 م بالجزائر([1]) حيث صدره **بمقدمة** : ضمنها عنوان الكتاب ،وهو : "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" ، واسم مؤلفه الشيخ أبي عبد الله بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي أصلا التلمساني، ولم يغفل تبيان قيمة الكتاب بين كتب تراجم العلماء . ويظهر أن العلامة ابن أبي شنب استوفى بنية خطاب المقدمة التي دأب المحققون على البدء بها بين يدي النص الذي يريدون تحقيقه، إذ أعقب ذلك بقوله : بادرنا إلى طبعه لتعميم نفعه **وجمعنا منه نسخا** منها نسخة لمكتبة المدارس العليا الجزائرية محفوظة تحت عدد 2001، ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتين تحت عدد 1736 و 1737 ونسخة للسيد وليام مارصي مدير المدرسة الجزائرية الدولية ونسخة للفقيه الشيخ ابن ددوش أحمد بن حامد قاضي معسكر الحالي ونسخة للفقيه الشيخ الحاج المختار بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف من زاوية الهامل بقرب أبي سعادة ونسخة للعلامة سيدي علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ونسخة للفقيه السيد الوانوغي المفتي ببلد الأصنام وزيادة في تحري التصحيح **راجعنا بعض الأصول التي نقل عنها المؤلف** رحمه الله تعالى **مثل نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا** التنبكي السوداني، **وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء** يحيى بن خلدون، **وروضة**

[1] - تصادف هذه السنة تأسيس جامعة القاهرة، وهي جامعة فؤاد الأول بمصر ونود أن نوجه النظر إلى أن ابن أبي شنب سافر في شهر جويلية إلى جامعة أوكسفورد Oxford بالمملكة المتحدة، لتمثيل الجزائر في **المؤتمر السابع للمستشرقين**، والتقى هناك بكبار الباحثين **أمثال محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي السوري**، والدكتور طه حسين، والشيخ محمد عبد الرحمن الهندي، **والمستشرق مارجليوث، و المستشرق نالينو الإيطالي**.ينظر عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره ،ص 22 ،23"بتصرف" .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النسرين في ذكر دولة بني مرين لأبي محمد عبد الله بن عمر الشهير ابن الأحمر، **وكتاب وفيات الخطيب القسنطيني** وغير ذلك .

ولم يكتف المحقق بذلك، بل استعان **بنسخة مقابلة على الأصول**، وهي نسخة أمده بها المستشرق بروفنسالي المدرس بكلية وهران، وغير ذلك من الكتب[1].

ولم تفته الإشارة إلى أسلوب المؤلف الذي يظهر أنه بذل جهدا مضنيا في إخراج كتابه، فجاء مستوفي شروط التأليف، ملما بكل جوانب الترجمات الواردة فيه " **مع سلامة العبارة ولطافة الأسلوب وحسن الإشارة**"[2] وهي تقاليد جرى عليها المحققون أثناء تعليقهم على متون الكتب، الغاية منها زيادة التعريف بمتن الكتاب من خلال خصائص أسلوب المؤلف .

إننا نعتقد أن المقدمة التي صدر بها التحقيق جاءت مستوفية الشروط لا تفتقر إلى العناصر التي اعتاد المحققون إيرادها في المقدمات[3] .

---

1 - ينظر البستان، مقدمة المحقق، والبستان ،ص315 . " بتصرف " .

2 - البستان ،ص 315

3 - يمكن إجمال تلك العناصر فيما يلي :

1- " التعريف بمؤلف الكتاب تعريفا موجزا مفيدا يتناول مكانته العلمية وجهده في الكتاب، مع ذكر المصادر التي ترجمت له، وعدد مؤلفاته، والبرهنة على أن الكتاب مزور أو صحيح .

2- التعريف بالكتاب نفسه ومترلته وطريقة معالجته والأشياء الجديدة التي يقدمها لنا،وعدد المؤلفات ...

3-يقوم المحقق بوصف الأصول الخطية التي اعتمد عليها في تحقيقه، وينبغي أن توصف كل النسخ، والنسخة التي اعتمد عليها في تحقيقه، وينبغي أن توصف كل النسخ، والنسخة التي اعتمد طبعا .بتفصيل تام، دون إغفال أي نسخ

حتى النسخ التي استبعدها، أو التي لن يستعين بها إلا في بضع مواضع وأن يبين العلاقة القائمة بين هذه النسخ كلما أمكن بوضع جدول نسب ،مع إثبات كل علامة بإيراد عدد من الأخطاء الخاصة المميزة ... " د، عبد المجيد ذياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ،ص310 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يكفي أن يقابل الدارس بين مضموني المقدمتين ليدرك مدى الفروق الهينة بينهما، وهي فروق يمكن إرجاعها إلى مدى ما أصاب المنهج من تطور منذ عصر المحقق إلى يومنا هذا، من أمثلة تلك الفروق :

- أن ابن أبي شنب لم يشر إلى أن ابن مريم له مؤلفات عدا كتاب البستان .

- لم يعن المحقق بوصف النسخ المعتمدة في التحقيق، ولم يبين العلاقة بينها، واكتفى بالإشارة إليها .

ومهما يكن فإن هذا لا يرتقي إلى درجة التقصير العلمي الذي يقدح في عمل المحقق، و يسمه بالرديء، فجميع العناصر ما ثلة، شاخصة للعيان .

ب- تحقيق نص الكتاب : يلاحظ المتمعن في تحقيق النص أنه أخرج بشكل يغلب عليه التيسير لا يحتاج إلى عناء أثناء قراءته ، رغم أن الخط الذي كتب به هو خط المطابع التقليدية التي ظهرت خلال القرن المنصرم، فتاريخ طباعة الكتاب كما أثبت في آخره " صدر هذا الكتاب وكان ذلك بالمطبعة الثعالبية بالجزائر المحروسة المحمية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه في غرة شهر رجب سنة 1327 هجرية ... " [1] ولم ينص المحقق على أن هذا الخط مغربي ترسم فيه بعض الحروف على صورة مخالفة للحروف المشرقية نذكر من ذلك –على سبيل المثال : حرف القاف، الذي يتم إعجامه بوضع نقطة واحدة من الأعلى، وحرف الفاء الذي يتم فيه الإعجام من أسفل ، ومن حروف الطباعة التي تمت بها الكتابة أنها لا تفرق بين همزة الوصل والقطع في بعض أوضاع الكلمات، و لا أثر فيها لعلامة المد في مثل قولنا : تآليف، وإن يكن ذلك في مواضع معدودة . والنص يخلو من الضبط ومن علامات الترقيم -التي

[1] - البستان ،ص315 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفتقر إليها أساليب الطباعة التقليدية-" وهي العلامات المطبعية الحديثة التي تفصل بين الجمل والعبارات، أو تدل على معنى الاستفهام أو التعجب وما يحمل عليهما .

وهي مقتبسة من نظام الطباعة ا لأوربي... وللترقيم منزلة كبيرة في تيسير فهم النصوص وتعيين معانيها، فرب فاصلة يؤدي فقدها إلى عكس المعنى المراد، أو زيادتها إلى عكسه أيضا، ولكنها إذا وضعت موضعها صح المعنى واستنار وزال ما به من الإبهام "[1] .

ولم يهمل المحقق الإشارة في الحواشي إلى مظان الفكرة بذكر النسخ المتضمنة لها، ينظر ،ص154، 155، 140 ،152، من كتاب البستان، على سبيل المثال . وعادة ما يثبت اختلاف النسخ بشأن لفظ أو صياغة من الصياغات، كإثباته في البسان بهامش ص 172 " (أ) -في رواية فينزلهم -" و إثباته في نفس الهامش " في رواية كثير الأدب على أهل السنة وفي أخرى كثير الوقوف على أهل السنة " انتهى .

وكان المحقق معتنيا بالمادة الشعرية في الكتاب، تحريا لزيادة ضبطها ، مثال ذلك إثباته في حاشية الصفحة 312 للملاحظات التالية : (أ -انظر هذين البيتين في ص 43 - (2)- في رواية وما ينفع وما ضر -(3) -في ثلاث **نسخ** الحواري وفي واحدة الكواري وفي أخرى الجواري فليحرر " انتهى .

وأما أرقام الصفحات التي رتب بها الكتاب فهي الأرقام الهندية، الجاري العمل بها في مطابع المشرق العربي. وهي أرقام بغلب على الظن أنها من تقنيات

[1] - عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها ،ص84 ،85 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطابع التقليدية التي مازال يجري العمل بها - خاصة في المطابع المشرقية- إلى يومنا هذا .

والكتاب لا نعثر به على الأخطاء المطبعية التي تشوه النص أو تحيل على معنى لم يكن من مقاصد المؤلف، أو تؤدي بالتالي إلى عيوب التحريف أو التصحيف، وأما **خطاب الترجمة أو السيرة الذاتية** - مضمون الكتاب -فتفاوت من ناحية الحجم، بحيث تراوح بين الطول والقصر. يقول عبد الرحمن طالب :" ومثلما تفاوتت التراجم في الطول، تفاوتت أيضا أهمية المعلومات المذكورة بها، فلم تزد بعض التراجم على بضع كلمات، ... "[1]

والدلائل على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما ورد في البستان ،ص51 –في ترجمة " سيدي أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني قاضي تلمسان والد الحفيد العقباني وذكر شيخ الإسلام قاسم العقباني أنه توفي سنة 840 أربعين وثمانمائة بتلمسان " وفي صفحة 294 ما نصه " سيدي موسى النجار من فقهاء تلمسان المحدثين في عصره انتهى " . وما جاء في البستان ،ص 226 في ترجمة محمد بن البناء" كان شاعرا أديبا عالما محققا متخلقا ظريفا رحمه الله تعالى ورضي عنه " .

وقد فاقت ترجمة محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي[البستان ،ص 164 إلى ص 184]، هذه الترجمات جميعا بحيث قدر الفضاء الذي شغلته ب(20) صفحة

وعادة ما نجد المؤلف لا يترجم لبعض العلماء، لسبب ربما يعود إلى أن العالم خامل الذكر ،لم يبلغ درجة العالمية ، فهو لم يترجم لما بدأ اسمه بالخاء

[1] - ينظر البستان، تقديم بقلم عبد الرحمن طالب،4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعجمة، البستان ،ص 96، قال :" لم أجد من شيوخ تلمسان من اسمه خليل لكن أكتب في كتابي سيدي خليلا صاحب التوضيح والمختصر التماس بركته " .

فأما خليل بن إسحاق بن موسى، ورد ذكره بالبستان ،ص96 ،97 وما بعدها فهو على ما يبدو أصيل البلاد المصرية .

إن التفاوت نراه ماثلا بين مادة الشعر وبين نصوص الترجمات، إذ تراوح الشعر بين عدد الأبيات، فوصل بين الأبيات، والقصائد ، ومن الأمثلة على ذلك تفاوت قصائد إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي، الذي له قصيدة سماها بالحسام منها قوله –البستان ،ص 61 :

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي ومنجاي في الدارين من كل فتنة
محبة رب العالمين وذكـــــــره على كل أ أحياني بقلبي ولهجتـي

حيث بلغ عدد أبياتها ثمانية أبيات .

وقصيدة أخرى مطلعها :

أبت مهجتي إلا الولوع بمن تهوى فدع عنك لومي والنفوس وما تقوى
هوان الهوى عز وعذب أجاجه وعلقمه أحلى من المن والسلـــوى

ومعلوم أن المحبة في هذا المقام هي محبة الخالق، لا المخلوق، وهي نوع من وسائل التقرب إليه، دالة على التشوق إليه، والشغف به لحد التوق إليه ،قال القشيري :" " أما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تحمل تلك الحالة على التعظيم له و إيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج غليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه ... "[1] .

ولا تتعدى أبيات القصيدة السالفة الذكر **سبعة أبيات** . وهي -بذلك تفوق قصيدة أخرى لنفس العالم – مطلعها [2] :

أما آن ارعواؤط عن شنار كفى بالشيب زجرا عن عوار

أبعد الأربعين تروم هزلا وهل بعد العشية من عوار

تصل أبياتها إحدى عشر بيتا .

إن ما يمكن استنتاجه من إيراد خطاب التراجم، الذي يصنف ضمن السرد القديم أن المؤلف كان يروم من وراء التأليف فيه تقديم صورة عن مجتمع مفعم بالإيمان، مغرق في عالم الصوفية- هو مجتمع تلمسان ،تظهر فيه الكرامات مرتبطة بالولاية.

ولم نر في المقابل أن المحقق تصرف في النص بالتغير بالزيادة فيه أو الإنقاص، بل كان شديد الأمانة أثناء إيراد المعلومة كما أتت في النسخ الأصول، بدليل أننا لا نعثر على تناقض أو تكرار فيها، فإذا أ شكلت عليه كلمة أو عبارة عاد إلى النسخ المعتمدة فدل على وضعها، وقابلها بأخواتها في مواضعها، كقوله في هامش ص168 من كتاب البستان :" (أ) – في بعض النسخ

[1] - ينظر البستان ،ص 423، 424 .
[2] - البستان ،ص 61، 62 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمنجم " .وقوله في البستان ص169 :" في بعض النسخ يسدد العقول في أسراره سردا بمهارة-(2) في رواية ومؤانستهم " .

ولقد تطلب التحقيق البحث عن نسخه المتناثرة هنا وهناك([1]) في مكتبات الجزائر،ومعسكر، وبوسعادة، والأصنام، ووهران .

ج- **وضع الفهارس:** يقع كتاب البستان في 315 صفحة إذا استثنينا **الفهارس الملحقة به** :و المقدر عددها **بأربعة فهارس** هي على التوالي :

الفهرست الأول في التراجم/ ص1 إلى ص 7 .

الفهرست الثاني في أسماء الرجال والنساء /ص 8 إلى ص36 .

الفهرست الثالث في أسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار/ص37 إلى ص42 .

الفهرست الرابع في أسماء الكتب /ص43 إلى ص 63 .

قام المحقق في فهرست التراجم بترتيبها ترتيبا ألفبائا مبتديا -كما جرت عليه التسميات في العربية- باسم العالم أو كنيته، ثم لقبه أو شهرته التي اشتهر بها .

وأما فهرس الرجال والنساء فرتبه هو الآخر ترتيبا ألفبائيا، فدل على المواضع التي ورد فيها ذكر العلم من الرجال والنساء في الكتاب ، وعادة ما يكتفي بذكر لقب العلم دون ذكر اسمه، انظر على سبيل المثال -الخانة

[1] – قال الزمخشري في الولي :" " هو من تولى الله بالطاعة فتولاه الله بالكرامة، وقال تعالى :(وهو يتولى الصالحين) الأعراف 196، وقال :(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) يونس 62 ،63 ومن كانت هذه شمائله فهو بالضرورة لا يرائي ولا ينافق صديقه، وقليل ما هم " ينظر يحيى بن معاذ الرازي، جواهر التصوف ،ص 52 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المخصصة للفهارس، البستان ،ص36 / الصنهاجي حيث ورد بالبستان ،ص 27 . بحيث لم يزد شيئا على ذكر لقبه .

والفهرس المخصص للأماكن والبلدان والجبال والأنهار، وقد أسقط فيه المحقق أماكن المغرب والمشرق وتلمسان بحجة كثرة ورودها، كما أثبت هو في هامش ص37 وهو حذف لا يؤثر في فهم مضمون الخطابات السردية .

وقد أثبت في هذا الفهرس مدنا مثل برقة، بجاية ،باب الزاوية، بغداد، البويرة، جبل أوراس، القاهرة ، وغيرها من الأعلام

وأما الفهرس الرابع، المخصص للكتب، وهو يشترك في نظام الترتيب مع بقية الفهارس كونها جميعا خاضعة للترتيب الألفبائي ، وقد ذكر فيه المحقق المؤلفات الواردة بمتن النص المحقق منها على سبيل المثال الأجرومية، إحياء علوم الدين للغزالي الإشارات لابن سينا ، الصالحين لابن مريم ،تفسير القرآن للرازي، توضيح ألفية ابن مالك، الدر والعقيان في دولة آل زيان، الرسالة القشيرية صحيح البخاري، العبر وديوان الخبر لابن خلدون، كتاب سيبويه، وغيرها من المؤلفات .

إن الكتب التي أحصاها المحقق في فهرسته تدلنا على نوع الثقافة التي وصلت تلمسان في مختلف المراحل التاريخية ، وهي مزيج من ثقافة بلاد المغرب- بما فيها تلمسان- وثقافة بلاد المشرق ،إنها ثقافة قامت على التماثل الروحي الذي استدعته النفوس، وأسهمت فيه عوامل منها رحلة أهل تلمسان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى المشرق بغرض أداء فريضة الحج، أو لطلب العلم، أو استقدام بعض العلماء من بيئات مشرقية أو مغربية للاستفادة منهم في مجال العلم والتعليم [1] .

ومعلوم أن للفهارس وظيفة لاتنكر في إضاءة جوانب النص المحقق، لكونها تسهل مقابلة النص قيد التحقيق بما تحتويه من معلومات تؤكد صحة متن النص المحقق و نسبه إلى كاتب دون غيره، يقول عبد السلام هارون:" إذ بدونها [أي الفهارس] تكون دراسة الكتب -ولا سيما القديمة منها -عسيرة كل العسر، فالفهارس تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التهدي إليها كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطإ المحقق أو سهوه "[2] .

إن وضع الفهارس يعد ضروريا باعتباره من مستلزمات العناية بالنص المحقق الذي يتطلب المراجعة بعد المراجعة للتأكد من سلامته، وأن المحقق لم يهمل أي شئ فيه، ويبدو أن هذا الوعي لم يفت ابن أبي شنب، فكان حريصا عليه، على الرغم من أنه لم يضع فهرسا للأشعار، يعين دارس الكتاب على معرفة المادة الشعرية الواردة بالكتاب تكون مرتبة القوافي بحسب حروف المعجم، وإن كانت تلك المادة هينة إذا ووزنت بنص الترجمات، وهي ترد ضمن النصوص ، ذلك أن الكتاب كتاب تراجم لعلماء وليس تراجم شعراء الغالب عليها أنها أشعار صوفية أو مدائح نبوية، أو هي في بعض الأغراض التي نظمت على شكل عقود، أو فرائض دينية .

[1] - فمن العلماء الذين لم يلدوا بتلمسان: يوسف بن عمر، ويوسف بن محمد المعروف بابن النحوي . ينظر البستان ،ص297 .
[2] - تحقيق النصوص ونشرها ،ص90 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

إلى أي مدى نعتبر ابن أبي شنب محققا من خلال كتاب البستان ؟

لئن كان **منهج التحقيق** يشمل توثيق العنوان، وصحة نسبته إلى مؤلفه، وتحقيق اسم المؤلف، وأنه هو المؤلف الحقيقي وليس غيره، ثم تحقيق نص الكتاب بمحاولة رده إلى أقرب صورة كان عليها يوم وضعه مؤلفه ،وما يستتبع ذلك من مقابلة النسخ ببعضها البعض، وضبط النص ،ووضع التعليقات والفهارس . لئن كان التحقيق جامعا لكل ذلك ، **فإن محقق كتاب البستان استوفى جميع تلك الخطوات،** رغم بساطة وسائل الطباعة آنذاك، **ولا نبالغ إذا قلنا إنه رائد منهج التحقيق في العالم العربي قاطبة** قياسا للفترة التي أنجز فيها تحقيق كتاب الستان ونشره –وهي سنة 1908، وأيضا لما بدا في عمله من امتلاك لناصية المنهج - بخلاف ما يذهب إليه بعض الأساتذة المصريين في نصه على أن رائد التحقيق في العالم العربي هو أحمد زكي قال: " لعل أول نافخ في البوق على أحدث المناهج هو المغفور له أحمد زكي باشا(شيخ العروبة) **صاحب** مشروع إحياء الآداب العربية الذي قام بتحقيق كتاب نكت العميان سنة 1910 "[1].

إن المشروع الهائل الذي أبي المحقق إلا أن يرسم خطوطه المترامية، والذي يبدو في محاولته إخراج الثقافة الوطنية إلى الوجود بتحقيقها ونشرها على نطاق واسع، تحدوه إرادة قوية لبلوغ ذلك، **تمثلت في معرفته لكثير من اللغات** التي

[1] - بنظر ، د،عبد المجيد دياب، تحقيق التراث،ص110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسعت وعيه بالفكر الإنساني عموما ، وعلى رأس تلك اللغات : **العربية و الفرنسية**، ذلك أن تلقف ابن أبي شنب لمنهج التحقيق كان بسبب من زمالته لأكبر علماء الاستشراق، وأيضا لتعلمه الفرنسية التي كانت الأداة المثلى لاكتساب المنهج، ولا نستبعد اطلاعه **على جهود المحدثين وإسهامهم في منهجية ضبط الحديث، وما انبثق عنه من علوم .**

إنه باصطلاح العصر رجل حداثي- بأتم معنى الكلمة- حداثي ، لأن الحداثة -ظاهرة زمانية ومكانية على حد قول الجابري - والدلائل على ذلك أكثر من أن تحصى بالإضافة إلى أن الحداثة لاتتخذ موقفا معاديا للتراث، مادامت تنشد التجدد، بحيث تشكل مع التشبث بالجذور **عملية الشهيق والزفير في جهاز التنفس الذي لا تستمر الحياة بدونه** . إنه ضمان لاستمرارية الحياة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com